العدد 1686 - السنة السادسة
الجمعة 6 ذي الحجة 1434 - الموافق 11 اكتوبر 2013
Friday 11 October 2013 - No.1686 - 6th Year

من غرناطة البهية إلى نجد العذية يسافر طير الشعر

الألبيري والشريف بركات شاعران في عصرين يكتبان قصيدة واحدة

لم يعرف الأدب العربي في شعره الفصيح والشعبي أشهر من قصيدة أبي إسحق الألبيري في نصح الولد وقصيدة الشريف بركات في ذات الباب

هناك ضرورة للتعريف بالمربي قبل أن يبدأ بالتربية، وأن يكون مزكى حتى تكون التربية مؤثرة

ان باب نصيحة الولد باب عظيم المنفعة والثمرة وهو منهج الحكماء الفضلاء حيث استعمل لقمان منهجاً تربوياً رصيناً يقوم على إعطاء القيمة لعقول الأولاد والمتربين حيث غرس العقيدة الصحيحة هو الواجب الأول على الوالد تجاه ولده ويتضمن القرآن الكريم مجموعة من الوصايا الرائعة التي يوصي بها الآباء أبناءهم، تحمل في طياتها حكماً عظيمة وأساليب مؤثرة في تربية الأولاد تربية صحيحة متوازنة، ومن هذه الوصايا: وصايا لقمان الحكيم لابنه، ونحاول عرضها في هذه المقالة بصورة موجزة. يقول الله تعالى: «... وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم.

ويجب ان نعلم ان هناك ضرورة للتعريف بالمربي قبل أن يبدأ بالتربية، وأن يكون مزكى حتى تكون التربية مؤثرة ضرورة اختيار الشخص المزكى للتربية، وليس اي شخص، فالمهمة صعبة وخطيرة وكبيرة، وهنا تلقى مسؤولية عظيمة على الآباء وأولياء الأمور من ضرورة تعظيم المربي في نفوس المتربين، والنظر إليه بتقدير واحترام وهذا يستجمع الخير جله ان كان المربي هو الوالد نفسه.

وفي باب الأدب والشعر والحكمة لم يعرف الادب العربي في شعره الفصيح والشعبي اشهر من قصيدة ابي اسحق الألبيري في نصح الولد وقصيدة الشريف بركات في ذات الباب ولعلنا نسلط الضوء على اهم ما جاء في القصيدتين من نصائح ابوية للود فضلا عن التركيز على المتشابه بين القصيدتين وبيان اشفاق الوالد على ولده .

وسنبدأ بالقصيدة التي قالها الشاعرابراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الغرناطي الألبيري الأندلسي، لتقدمها تاريخيا على قصيدة الشريف بركات لا لشيء آخر ، حيث يقول الإلبيري رحمه الله :

تَـفُـتْ فُـؤادك الأيـام فتـا
وتَنْحتُ جسمَكَ الساعاتُ نَحتا
وتَـدْعُـوكَ المنـونُ دُعـاءَ صَدق
ألا يـا صـاح ؛ أنـتَ أريـدُ ، أنـتا
أراكَ تُـحِبُّ عِـرسـا ذاتِ غَـدر
أبَـتْ طَـلاقَـها الأكـيـاسُ بَـتّـا
أبـا بـكـرٍ دَعَـوْتُـكَ لو أجَبـتـا
إلـى مـا فيه حَـظُّـكَ إن عَـقَـلْـتا
إلـى عـلـمٍ تـكـونُ بـهِ إمـامـا
مُـطـاعـاً إن نَـهَـيـتَ وإنْ أمَـرْتَـا

هنا بدأ الشاعر بمخاطبة ولده ويبين له حقيقة الدنيا وانها ليست لحي ابدا بل انها لا تقيم مع صاحبها ابد الدهر بل تغربه تغريه حتى اذا تشربها عشقا ذهبت وتركته لغيره ولذا نجده يقول أبتْ طلاقها الأكياسُ بتّا اي طلقوها طلاقا باتا لا عودة به مما يؤكد تشديد الاب على ابنه في الحفاظ على ما يصلح له ويفيده في حياته ونجد ضمن الابيات ان الالبيري يلاطف ابنه مخاطبا فيناديه مكنيا اياه ولا يناديه باسمه وهذا باب من الطف ابواب قبول النصح بين المتناصحين فما بالك لو كان النداء من اب لابنه اذن نجد اللطف والعطف في ايصال المعلومة اكبر واعمق ، ويختم ابة اسحق قوله لابنه مبينا طمع قلب الوالد لأن يكون ابنه من المتميزين في هذه الحياة والمقدمين فيها فيريد منه سماع النصيحة ليكون في المستقبل على الاقل اماما مطاعا.

وحين نجيل النظر في قصيدة الوصية التي اطلقها الشريف بر كات موصيا ابنه مالك نجده كذلك يوصيه بالتقوى والعمل الصالح وطلب الدار الاخرة والحذر من الدنيا لما لها من غدر بحروف تترقرق فيها عاطفة الأبوة وتتدفق فيها لطافة الموصي بالموصي إليه بأصحابها فيقول

يا مالك اسمع جابتي يوم أوصيك
وأفطن ترى يابوك بأمرك وانهاك
وصيّـة من والـد طامع فيك
تسبق على الساقة لسانه لعلياك
أوصيك بالتقوى عسى الله يهديك
لـهـا وتدركها بتوفيق مـولاك

وفي هذا الباب ايضا يقول الشريف بركات موصيا ابنه وفلذة كبده

أدّب ولدك إن كان تبغيه يشفيك
واستسعفه من بعد مرباه بالاك
إما سمح واستسمحك عند شانيك
ويفرّ من فعله صديقك وشرواك
والاّ بعد جهله ترى هو بيانيك
لـو زعلـت امـه لا تخليه يالاك

وفي باب علو الهمة والحرص على فعل الجميل وبذل الخير وتحقيق الصالح من القول والفعل يقول الألبيري موصيا ولده:

إذا مـا لـم يُـفِـدْكَ الـعِـلـمُ خيراً
فـخَـيـرٌ مـنـهُ أن لـو قـد جَـهِـلـتا
وإنْ ألـقَـاكَ فَـهْـمُـكَ فـي مـهـاوٍ
فـلـيـتـكَ ثُـمَّ لـيـتـكَ مـا فَـهِـمـتا

ستجني من ثمار العجز جَهلاً
وتَصْغَرُ في العيونِ إذا كَبِرتا
وتُفقَدُ إن جهلتَ وأنتَ باقٍ
وتُوجَدُ إن عَلِمْتَ وقد فُقِدتا
وتَذكرُ قولتي لكَ بعدَ حينٍ
وتَغبطُهاَ إذا عَنها شُغِلتا
لَسوفَ تَعَضُّ من نَدَمٍ عليها
وما تُغني الندامةُ إن نَدِمتا
إذا أبصرتَ صَحْبَكَ في سماءٍ
قد ارتفعوا عليك وقد سَفَلْتَا
فَراجِعها ودَعْ عنك الهوينى
فَما بالبُطءِ تُدرِكُ ما طَلَبتا

وفي هذا الشان العظيم من شؤون وصية الوَالد لولدَه في باب المراجل وعدم القنوع بالدون وعدم التخلف عن ركب الطيبين نجد الشريف بركات يوصي ابنه مالكا فيقول له

ترى الصنايع بين الاجواد تشريك
اليا طمعت بغرسها لا تعدّاك
واحذر سرور بغبّة البحر يرميك
ولا عنده افلس من تشكّيك وابكاك
واوف الرجال حقوقها قبل تعنيك
لا تعتمد بالقول فالحق يقفاك
وهرج النميمة والقفا لا يجي فيك
واياك عرض الغافل اياك إياك
تبدي حديث للملا فيه تشكيك
وتهيم عند الناس بالكذب واشراك
واليا نويت احذر تعلم بطاريك
كم واحد تبغي به العرف واغواك

وفي باب التصرف في المال وجعلّه جسرا للمجامد والذكر الحسن يقول الألبيري

ولا تـحـفـلْ بمـالِـكَ والـهُ عنهُ
فـلـيـسَ المـالُ إلاّ مـا عَـلِـمـتا
ومـا يُـغـنـيكَ تشييدُ المباني
إذا بـالـجـهل نَـفْـسَـكَ قد هَـدَمْـتا
جَـعَـلْـتَ المـالَ فـوقَ الـعِـلـمِ جهلاً
لـعَـمْـرُكَ في القضيةِ ما عَـدَلْـتَـا

وفي ذات الأمر يركز الشريف بركات في الوصية قائلا

ولا تحسب إن الله قطوع يخليك
ولا تفرح إن الله على الناس بدّاك
الضيف قدّم له هلا حين يلفيك
ومما تطوله يا فتى الجود يمناك
إحذر تلقّي الضيف مقرن علابيك
خله محب لك صديق إذا جاك

هذا غيض من فيض في الأبيت التي وصّى كل من ابي اسحّق الألبيري ابنه ووصى بها الشريف بركات ابنه وتوافقا في تعليمهما المكارم من الاخلاق وحفظ النفس عن الزلل وعدم الركون للدعة والرفاه في نيل المطالب العليا وهذا باب عظيم من ابواب الأدب وقد حفلت به كتب الأدباء واشعارهم في القديم والحديث حيث لا ينكر مطلع وملم بالشعر الشعبي قصة محمد أبو دباس من أهل (بلدة العودة) من بلدان سدير في نجد

يا دباس انا بوصيك عن درب الادناس
ترى الـذي مثلك يناظر مسيره
عليك بالتقوى ترى العز يا دباس
فى طاعة اللي ما ينجيك غيره
هاذي ثمان سنين من رحت يا دباس
لا رسالـه جتني ولا مـن بريره
يا دباس من عقبك ترى البال محتاس
وعليك دمـع العين حـرّق نظيره
وعليك كنى فى دجا الليل حراس
أصبح على حيلي وعيني سهيره

عبدالناصر الأسلمي

شكراً على الماضي

ولا قصّرت ؛
كفرت بضحكة النوّير على ترابي
.. وأيقنت
قناديل الفضا من أوهامي !
أحبابي ؛
دام الوجيه – أشباه
صلوا على أهدابي !
ولا قصّرت ؛
شرّعت المسافه و الفكر – مُذنب
.. حكايه ؛
تعشق التلويح ،

كم كانت أغاني ريح ،
والمبكي ؛
.. من غيابي
ولا قصّرت
شكراً على التهميش
شكراً على الماضي
شكراً علمتني كيف أعيش ،
.. بـ ثيابي
ولا قصّرت .!

عبدالعزيز المشعل